أ.د. أحمد هاشم السامرائي

جامعة نزوى
كلية العلوم والآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

الازدواجيَّة اللغويَّة العربيَّة الفصحى واللهجات الحديثة

المُلخَّص:

يدرس هذا البحث ظاهرة الازدواجيَّة اللغويَّة منْ حيث مفهومها ونشأتها وتطوُّرها. والفرق بينها وبين مصطلح الثُّنائيَّة اللغويَّة، وأبرز المجالات الَّتي تأثَّرت بالازدواجيَّة، وهي: لغة الإعلام، ولغة الأدب. وبيَّنتُ فيها ما يثبت التَّأثُّر الكبير باللهجات المحليَّة الشَّائعة، فضلاً عنْ علاقة الفصحى الحديثة ولهجاتها، والمجالات الَّتي تأثَّرت بالازدواجيَّة كثيرًا. وهل حافظ المتكلِّم العربيُّ على فصاحته تجاه الانفتاح الحضاريِّ والثَّقافيِّ؟ وهو ماكشف عنه البحث منْ نتائج تبيّن واقع اللغة العربيَّة في العصر الحديث. وإبراز أهمِّيَّة العربيَّة الفصحى في المجالات العلميَّة والثَّقافيَّة في معالجة ظاهرة الازدواجيَّة اللغويَّة ووضع الحلول الملائمة لها.

مقدّمة

تعـدُّ اللغة الأمُّ أحـد أسباب حمايـة أبنائها من التّشتُّت العلمـيّ والفكريّ؛ إذْ إنَّ ثنائيَّة التّلازم بـين اللغة والمتكلِّـم واجبة التّحقُّـق. وإنَّ ثقافة اللغـة ترتقي بثقافة أبنائهـا، والعكس صحيح، حَتَّى صـار من أساسيّـات الدَّرس اللغـويّ أنَّ اللغـة الرَّاقيـة تـدلُّ على رُقِـيّ أبنائهـا، واللغة البدائيَّة تدلُّ على بداوتهم. ومنْ خلال دراسة واقع اللغات العالميَّة في العصر الحديث أصبحت اللغـة العربيَّة منْ أكثر اللغـات الَّتي تتعرَّض إلى مثل هذه الظَّاهـرة. ويهدف البحث إلى دراسة الازدواجيَّة اللغويَّـة التي أصبحت من الظَّواهر السَّلبيّـة التـي تواجـه اللغـة العربيَّـة في العصر الحديـث حتّـى أتتْ علـى اللغـة كافَّـة؛ أدبًا، وثقافـةً، وإعلامًـا، وعِلْمًا، وغيرهـا. فتناولتُ دراستها؛ مفهومًا، ونشأةً، وتطوُّرًا. ووضَّحت الفـرق بينها وبـين مصطلـح الثُّنائيَّـة اللغويَّة، مرجِّحاً الأسلم في الاستعمال. وعَرَضْتُ لأبرز المجالات التي تأثَّـرتْ بـالازدواجيَّة، وبخاصَّة لغـة الإعلام، ولغة الأدب. وبيَّنتُ فيها ما يثبت التَّأثُّر الكبير باللهجات المحليَّة الشَّائعة.

ولَّـما كانـتْ علاقة اللغـة بالمتكلِّـم متلازمةً إلى حـدٍّ كبير؛ فلا بدَّ لـه من المحافظـة عليها ؛ لذا يحـاول الكثـير مـن المتكلِّمـين، حـين يعجز معجمهم اللغـويُّ عنْ رَفْدهم بما يحتاجونه منْ ألفاظ، العدول عـن الفصحى إلى اللغة المحلِّيَّة، أو ما يسمَّـى باللهجة العاميَّة؛ إذْ تعرَّضَـتْ اللغة العربيَّة كغيرها من اللغات إلى مثل هذا العدول. فشغلـت الكثير مـن الدَّارسـين، بعدما أخذت الفصحى تكاد تتفلَّت منْ صدور أبنائها.

ويجيـب البحث عـنْ الأسئلة الآتيـة: ما مدى العلاقـة بـين الفصحـى الحديثـة ولهجاتها منْ ناحيتي التَّأثُّر والتَّأثير؟ ما المجالات التي تأثَّرت بـالازدواجيَّة كثيرًا؟ وهل حافظ المتكلِّم العربيُّ على فصاحته تجاه الانفتاح الحضاريّ والثَّقافيّ؟ ويحاول البحث الكشف عـنْ جانب مهمٍّ منْ واقع اللغة العربيَّـة في العصر الحديث وأهميّتها في المجالات العلميَّة والثَّقافيَّة. ومعالجة ظاهرة الازدواجيَّـة اللغويَّـة ووضع الحلـول الملائمة لهـا. وقد اعتمدتُ المنهـجَ الوصفيَّ في عرض الظَّواهـر اللغويَّة مع الاستعانة بالمنهج التَّاريخيّ في مواضع لرصد التَّطوّر اللغويّ.

المبحث الأول: الازدواجيَّة اللغويَّة؛ مفهومها وتطوّرها

اعتنـى المسلمون باللغة العربيَّة، وانكبَّ العلماء علـى تسهيلهـا وتيسيرهـا. فوضعـوا المعاجم الَّتـي تفسِّر معـاني مفرداتها. وقعَّـدوا القواعد الَّتي تبـيِّن أسس بنـاء الجملة العربيَّـة. وطريقة تركيبهـا والتَّعبـير الفصيـح والصَّحيـح فيهـا. وفعـل البلاغيُّون الشَّـيء ذاتـه؛ إذْ بيَّنوا الفرق بين الأسلوبـين الجميل وغير الجميـل، فتوالت

العلوم المختلفة، من نظريّة وعمليّة، واستعمل المسلمون جميعًا اللغة العربيّة لغةً رسميّةً لهم ولأغلب مؤلفاتهم التي انتشرت في أصقاع الدنيا المختلفة، حتى قال الأب أنستاس الكرملي: «إنّ لسان العرب فوق كلّ لسان، ولا تُدَانيها لسان أخرى من ألسنة العالم جمالاً، ولا تركيبًا، ولا أصولاً»[1].

وتفتح كتب التّراجم لترى آلاف العلماء من غير العرب. ولكنّهم كانوا مسلمين في عقيدتهم، وخلّفوا تراثًا ضخمًا رائعًا وخالدًا في شتّى العلوم والفنون العربية. ومن ذلك ما رواه الجاحظ (٢٥٥هـ-٨٦٩م) عن موسى بن سيّار الأسواري: «وكان من أعاجيب الدُّنيا، كانت فصاحته بالفارسيّة في وزن فصاحته بالعربيّة، وكان يجلس في مجلسه المشهور به، فيقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسّرها للعرب بالعربيّة، ثمّ يحوّل وجهه إلى الفرس فيفسّرها لهم بالفارسيّة، فلا يدري بأيّ لسانٍ هو أبين»[2].

ولم يحظ مصطلح الازدواجيّة اللغويّة بدراسات حديثة كافية لوضع معالمه، وحدوده، وأسسه، وسماته، فضلاً عن تحديد مفهومه. وهو ما أدّى إلى حدوث اضطراب كبيرٍ بين اللسانيّين القلائل الّذين تناولوه بحثًا. وزاد من هذا الاضطراب اقترانه بمصطلح الثُّنائيّة اللغويّة. فتبادل المصطلحان أدوار الاستعمال؛ فهناك من يستعمل الازدواجيّة تارة، وهناك من يستعمل الثُّنائيّة تارة أخرى. ويعرّف اللغويُّ الفرنسيُّ وليم مارسيه الازدواجيّة قائلا: «هي التّنافس بين لغة أدبيّة مكتوبة، ولغة عاميّة شائعة للحديث»[3].

فالازدواجيّة اللغويّة متحقّقة في هذا التعريف بوجود ثلاثة أُسس، هي:

أ. المنافسة بين مستويين لغويّين.

ب. التّفاوت بين المستويين من ناحية الفصاحة.

ت. التّفاوت بين المستويين من ناحية الاستعمال.

وعند عرض هذه الأُسس، وتطبيقها على الشّائع اللغويّ في الاستعمال، يتّضح ما يأتي:

الأساس الأوّل: صرّح مارسيه أنّ الازدواجيّة تكون بين اللغة الأدبيّة، والاستعمال العاميّ. ويبرز تساؤلان هما: هل يشترط في التّنافس انتماء المستويين اللغويّين إلى عائلة لغويّة واحدة؟ وما حكم التّنافس بين أكثر من مستويين لغويّين؟ الواضح من النّصّ السّابق عدم اشتراط انتماء المستويين إلى لغة واحدة. وبناءً عليه يعدُّ التّنافس بين هذه المستويات من الازدواجيّة اللغويّة، وهي:

- بين اللغة العربيّة ولهجاتها.
- أو بين اللغة العربيّة ولهجات غير العرب الّذين ينتمون إلى البلاد العربيّة، كالمسيحيّين، واليهود، والإيزيديّين، والصّابئة، والأفارقة

وغيرهم.

– أو بين اللغة العربيَّة، ولهجات اللغات الأخرى في المناطق غير العربيَّة الخاضعة للحكم العربيّ، كمنطقة كردستان العراق، أو الأمازيغ في المغرب العربيّ وغيرهم.

– أو بين لغة أخرى، واللهجات العربيَّة في المناطق العربيَّة الخاضعة لحكم غير العرب، كمنطقة الأحواز (عربستان) في إيران، ولواء الاسكندرونة في تركيا وغيرهما؛ لذا يمكن تحديد التَّنافس اللغويّ بوجود مستويين لغويَّين عند متكلِّم واحد.

ولكنَّ الازدواجيَّة لا تقتصر على وجود مستويين لغويَّين؛ إذْ تتعرَّض لغة المتكلِّم إلى أكثر منْ مستويين، فمثلاً:

– مستوى اللغة الأمّ الفصيح.

– المستوى العامّيّ المستعمل في الحياة اليوميَّة.

– لغة البلد الأمّ.

– المستوى العامّيّ المتولِّد منْ لغة البلد الأمّ.

وعلى سبيل المثال يتعرَّض المتكلِّم العراقيُّ منْ القوميَّة الكرديَّة لأكثر منْ مستوى لغويٍّ، وهي:

المستويان الفصيح والعامّيُّ في لغته الأمّ الكرديَّة، والمستويان الفصيح والعامّيُّ في لغة البلد الأمّ العربيَّة. وكما في المخطَّط الآتي:

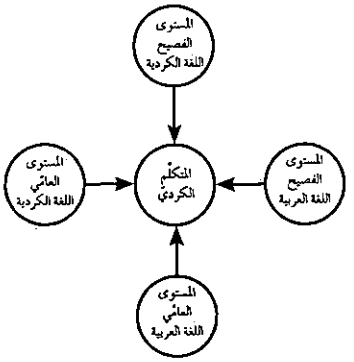

شكل رقم(١) يوضح المستويات اللغوية التي يتعرض لها المتكلم العراقي من القومية الكردية.

ويجري هذا الكلام على غيره من القوميَّات غير العربيَّة، أو العرب الَّذين يعيشون في بلاد غير عربيَّة؛ إذْ في ظلِّ هذا التَّنافس كان الصِّراع بين المستويات اللغويَّة على أشدِّه. وبناءً على هذا فالازدواجيَّة لا تقتصر على مستويين لغويَّين، كما صرَّح به مارسيه. وإذا جاز أنْ نلتمس مخرجًا لِمَا ذهب إليه نجعل أقلَّ (الازدواجيَّة اللغويَّة) التَّنافس بين مستويين لغويَّين.

الأساس الثَّاني: حدَّد نصّ مارسيه، قبل قليل، المستويان منْ ناحية الفصاحة، بقوله: (لغة أدبيَّة ... ولغة عامّيَّة)، وهذا يطرح سؤالين:

– هل يشترط في المستوى الأوَّل أنْ يكون لغة أدبيَّة؟ وما مواصفات هذا المستوى؟

– هل يشترط في المستوى الثَّاني أنْ يكون لغة عامّيَّة؟

والواضح من نصّه أنّه اشترط اللغة الأدبيّة، ولكنْ ما مدى صحّة هذا الشّرط؟ قبل الحكم على صحّة هذا الشّرط أو عدمها لابدَّ منْ تحديد مواصفات اللغة الأدبيّة. فيُراد بمصطلح اللغة الأدبيّة المستوى اللغويّ المستعمل في النّصوص الأدبيّة المختلفة، شعريّة أم نثريّة. وهذا يستدعي رُقيَّ هذا المستوى، فهو أعلى مستويات الفصحى، فإذا كان هذا ما أراده مارسيه فأنا أخالفه فيه؛ لأنَّ الازدواجيّة لا تتقيّد بالمستوى الأدبيِّ الرّاقي، وإنّما في المستوى اللغويّ المستعمل في لغة الكتابة، ويسمّى مستوى الفصحى.

وهو أقلُّ من المستوى الأدبيّ اتّفاقًا، فأغلب مميّزات هذا المستوى اللغويّة متّفقة، والفروق قليلة لا تعدو أنْ تكون فروقًا صوتيّة أو دلاليّة، وليس محصورًا في مستوى النّصّ الأدبيّ. وممّا يؤيّد ما ذهبتُ إليه أنَّ اللغويّ شارل فرجسون حدَّد في العام ١٩٥٩م المستويات اللغويّة بنمطين: نمط اللهجات، ونمط عالي التّصنيف. ويسمّى الثّاني بفوقي المكانة، «ويستعمل لمعظم الأغراض الكتابيّة والمحادثات الرّسميّة، لكنّه لا يُستَعْمَل منْ قبل أيِّ قطّاع منْ قطّاعات الجماعات المحلّيّة للمخاطبة أو المحادثة العاديّة»[٤]. وقدْ يقول قائل: إنّ استعمال التّركيب لغة أدبيّة قد يدلُّ على ما ذكرتَه؛ لأنّه قال: مكتوبة، وهي تدلُّ على كلِّ مكتوب، فضلاً عنْ أنَّ ترجمة النّصّ بـ(أدبيّة) قد لا يُقْصَدُ بها لغة النّصّ الأدبيّ.

ويمكن اعتبار هذا الكلام صحيحًا، ولكنْ نعمد إلى وضع مفهوم واضح لمصطلح الازدواجيّة، نتخلّص به منْ كلِّ غموض يتعرّض له القارئ؛ فلا يشترط في المستوى الأوّل أنْ يكون لغة أدبيّة، وإنّما بمستوى يختلف عن المستوى الثّاني في المميّزات اللغويّة. يجري الكلام السّابق على المستوى اللغويِّ الثّاني الّذي حدّده بأنّه لغة عاميّة؛ إذْ لا يشترط في الازدواجيّة أنْ يشتدَّ التّنافس بين لغة ولهجتها، وربما تنافس بين لغتين منفصلتين، وعند ذلك لايتحقق شرط المستوى العاميّ. نخلص ممّا سبق ذكره في الأساس الثّاني أنَّ الازدواجيّة تتمثل بين المستويات اللغويّة الآتية:

اللغة(١)		اللغة(٢)	
المستوى الفصيح	المستوى العاميّ	المستوى الفصيح	المستوى العاميّ
أ	ب	ت	ث

شكل (٢) يوضح تمثّل الازدواجيّة في المستويات اللغويّة.

وبحسب الآتي:

– مستوى لغويّ فصيح = مستوى لغويّ فصيح (أ، ت).

– مستوى لغويّ فصيح = مستوى لغويّ عاميّ شائع (أ، ب) و(أ، ث) و(ت، ث) و(ت، ب).

– مستوى لغويّ عاميّ شائع = مستوى لغويّ عاميّ شائع (ب، ث).

الأساس الثَّالث: لقد اتّجه نصّ مارسيه بتحديد المستويين منْ ناحية الاستعمال، فأشار إلى أنَّها مكتوبة وشائعة. وإذا وافقته في وصف المستوى الثَّاني بأنَّها شائعة، فلا أوافقه في اشتراط الكتابة في المستوى الأوَّل؛ لأنَّ التَّنافس اللغويَّ معتمد على استعمال مستويين أو أكثر استعمالاً لغويًّا. وهذا لا يتحقَّق إلاَّ بوجود الاستعمال المنطوق، بحسب ما نصَّت عليه الدِّراسات اللسانيَّة الوصفيَّة، وهو الاعتماد على اللغة المنطوقة. إضافة إلى قوله: شائعة للحديث، مما يوحي بوجود شرط الاستعمال المنطوق في المستوى الثَّاني، فلماذا نفتقده في المستوى الأول؟ بعد عرض ما تضمَّنه تعريف مارسيه يمكن أنْ أستدرك عليه أساسًا رابعًا لم يذكره وهو: تحديد البيئة اللغويَّة؛ لأنَّ الازدواجيَّة تحصل في بيئة لغويَّة محدَّدة، وليس في عشوائيَّات جغرافيَّة.

وقداضطربت أقوال اللسانيِّين الغربيِّين والعرب في استعمال مصطلحي الازدواجيَّة اللغويَّة والثُّنائيَّة اللغويَّة؛ بسبب ترجمة المصطلحين (Diglossia)و(Bilingualism)الذي جرَّ إلى عدم الاتِّفاق على ميدان دراسة كلِّ مصطلح، فمنهم منْ جعل ميدان الازدواجيَّة اللغويَّة؛ اللغة ولهجاتها، وميدان الثُّنائيَّة اللغويَّة؛ لغتان مختلفتان. ومنهم منْ عكس هذين الميدانين. ممّا سبق يمكن تحديد مفهوم الازدواجيَّة بأنَّه: تنافس مستويين لغويَّين أو أكثر في بيئة لغويَّة واحدة. وقدْ استعملت الدِّراسات اللسانيَّة هذا المصطلح. وهو ترجمة للمصطلح اللاتينيّ(LaDiglossia)، الَّذي نحته اللغويُّ مارسيه[٥]، ثمَّ انتقلَ إلى اللغة الانكليزيَّة بلفظ (Diglossia) وهو متكوِّن «منْ سابقة يونانيَّة (Di)معناها: مثنى أو ثنائيّ أو مضاعف، و(gloss) ومعناها: لغة، ولاحقة (ia) للحالة»[٦].

وذهب نهاد الموسى إلى أنَّ ميدان الازدواجيَّة اللغويَّة شكلان، أومظهران، أومستويان لغويَّان في إطار اللغة الواحدة؛ لأنَّها مأخوذة من الجذر اللغويّ (زوج) الدَّالّ على الاقتران والمشاكلة، وهذا لا يتحقَّق إلاَّ في اللغة الواحدة. وأمّا ميدان الثُّنائيَّة اللغويَّة فيشمل المستويات اللغويَّة في لغات متباينة؛ لأنَّه مأخوذ من الجذر (ثنى) الدَّال على مطلق العدد، فيستعمل في التَّضادّ كالخير، والشَّرّ، والنُّور، والظَّلام[٧].

فاستعمال الازدواجيَّة يشمل الصِّراع في اللغة الواحدة، وفي لغتين مختلفتين إذا توافر فيه شرطان وهما:

أ. أنْ يستعمل بين مستويات لغويَّة شائعة.

ب. أنْ يكون في بيئة جغرافيَّة واحدة.

الازدواجيَّة والعربيَّة التُّراثيَّة:

لم تكنْ الازدواجيَّة اللغويَّة حديثة عهدٍ باللغة العربيَّة؛ إذْ لها جذور في العربيَّة التُّراثيَّة. وإنْ اختلف اللغويُّون في تحديد بدايتها، فذهب إميل بديع يعقوب إلى أنَّ الازدواجيَّة ظهرتْ

بعد الفتح الإسلامـيّ، واختلاط الأمم بالعرب؛ فأدّى إلى حدوث صراع لغويٍّ بين لغة الوافدين الأعاجـم ولغـة العـرب[٨]. وذهب غـيره إلى «أنَّ اللحـن صـورة للازدواجيّـة اللغويّة»[٩]، وهو مخالف لواقـع التّاريخ اللغويّ العربيّ؛ لأنَّ الازدواجيّـة اللغويّـة موجـودة في العربيّة منذ عصر ما قبـل الإسلام. وقبل ذكـر الأدلّة، لابدَّ منْ وقفة لتحديد ما تعنيه الازدواجيّة.

ذكـرتُ قبل قليل مـا أراه في تحديد مفهوم هذا المصطلـح، والتّفريق بـين الازدواجيّة والثُّنائيّة. فمـن يرى في اللحـن صـورة للازدواجيّة فقد جانـب الصّواب؛ ولـو وافقته علـى أنّه نتيجة صراع بين مستويين لغويّين للغتين مختلفتين فهو ازدواجيّـة لغويّة. ولكنْ مع هـذا لا يمكن عدُّه مـنْ الازدواجيّة؛ لأنَّ أيَّ تنافس بين المستويات اللغويّة لا بدَّ أنْ يخضع لأحد الحكمين الآتيين:

أ. أنْ يوافـق أصول اللغـة الأمّ، أيْ: لغة المتكلّم الأصليّة.

ب. أنْ يخالف أصول اللغة الأمّ، وهو اللحن.

وبناءً على هذيـن الحكمين فالازدواجيّة موافقة للحكـم الأوّل. واللحـن ترفضه قواعـد اللغة وأصولها، فلا يمكن تسويغه بحجّة الازدواجيّة أو الثُّنائيّة. إذًا شرط الازدواجيّة موافقتها قواعد اللغـة وأصولها، فتكون المميّـزات اللغويّة الّتي يحملهـا المستـوى اللهجيُّ مقبولـة لغويًّا؛ لأنَّ المستـوى اللهجـيَّ مستوى مقبـول على وفق معايير اللهجة، وهو مختلف تمامًا عن اللحن.

أصول الازدواجية اللغوية:

تزخـر مصـادر الـتُّراث العربـي بالاستعمـال اللهجيِّ الّذي اقتحم اللغة الأدبيّة العالية الرّاقية، وهو ما لم ينكره أحد، وأمثلته:

أولا. القرآن الكريم:

كـثُر في القرآن الكريم استعمـال اللغات، سواءً العربيّـة منهـا أم الأعجميّـة؛ ولأنَّ الازدواجيّة تكون في اللغة الواحـدة أو اللغتين المختلفتين؛ فسأورد نصوصًا تضمّنت لغات القبائل العربيّة فقط خشية الإطالة. وإنَّ مصادر التّخريج كفيلة برَفْـدِ القـارئ بنصوصٍ تتضمّن لغـات الأمم الأخرى. ومنْ نصوص لغات القبائل العربيّة:

- قـال تعـالى: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ﴾ (سورة البقرة:١٣)، فـ(السَّفِيْـهُ): الجَاهِلُ بلغة كنانة[١٠].

- قال تعالى: ﴿وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ (سورة البقـرة:٣٥)، فـ(الرَّغَدُ): الخصب بلغة طيِّئ[١١].

- قال تعالى: ﴿فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ (سورة البقـرة، من الآيـة:٦٥)، فـ(خَاسِئِينَ): صَاغِرِيْنَ بلغة كنانة[١٢].

- قال تعالى: ﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ﴾

(سورة البقرة، من الآية: ٩٠)، فـ(اشْتَرَوا): بَاعُوا بلغة هُذَيل[١٣].

• قال تعالى: ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ (سورة البقرة، من الآية: ٩٠)، فـ(بَاءُوا) تعني اسْتَوْجَبُوا بلغة جرهم[١٤].

• قال تعالى: ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾(سورة البقرة، من الآية:١٩٧)، فـ(الرَّفَثُ): الجِمَاعُ بلغة مَذْحِج[١٥].

• قال تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ ﴾ (سورة البقرة، من الآية:٢٣٢)، فـ(تَعْضُلُوهُنَّ): تَحْبِسُوهُنَّ بلغة أَزْد شنوءة[١٦].

وغيرها من النُّصوص.

ثانيا. القراءات القرآنيّة:

شاع ورود القراءات القرآنيّة بما يوافق لهجات العرب. ولا فرق في ذلك بين القراءات السّبعيّة المتواترة والثّلاثة المكمّلة والشّاذّة. وسأذكر منْ كلّ نوع منْ هذه القراءات قراءتين اثنتين.

أ. القراءات السّبعيّة المتواترة:

قرأ حمزة (١٥٦هـ – ٧٧٣ م) والكسائيُّ (١٨٩هـ – ٨٠٥م) وحفص (١٨٠هـ – ٧٩٦م) قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾ (سورة آل عمران، من الآية:٩٧) بكسر الحاء في (حِجُّ)، وهي لغة أهل الحجاز وبني أَسد، وقرأ الباقون بفتحها: (حَجُّ)، وهي لغة أهل نجد[١٧].

قرأ حمزة (١٥٦هـ – ٧٧٣م) قوله تعالى: ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (سورة الواقعة، من الآية:٣٧)، (عُرْبًا)، بتسكين الرّاء، وهي لغة بني تميم[١٨].

ب. القراءات المشهورة:

قرأ يعقوب (٢٠٥هـ – ٨٢١ م) قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (سورة التوبة، من الآية: ١٠٦): (مُرْجِئُونَ)، بهمزة مضمومة ممدودة، وهي لغة تميم وسفلى قيس[١٩].

قرأ أبو جعفر (١٣٠هـ – ٧٤٧ م) قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ﴾ (سورة الكهف، من الآية: ٧٣)، (عُسُرًا)، بضمّ السّين، وهي لغة أهل الحجاز[٢٠].

ج. القراءات الشّاذّة:

قرأ ابن أبي عبلة (١٥٢هـ – ٧٦٩) قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ (سورة الفاتحة، الآية:٢)، (الحَمْدُ للهِ)، بضمّ اللام على الإتباع، وهي لغة بعض ربيعة[٢١].

قرأ زيد بن ثابت (٤٥هـ – ٦٦٥م)، وأبيُّ بن كعب (٣٠هـ – ٦٥٠م) قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ﴿٢٤٨﴾ ﴾ (سورة البقرة، من الآية: ٢٤٨)، (التَّابوهُ)، بالهاء، وهي لغة الأنصار[٢٢].

ثالثا: الحديث النَّبويُّ الشَّريف

وردت في حديث الرَّسول ﷺ مجموعة من الظَّواهر اللهجيَّة الَّتي لم تنسب إلى قريش. وهي لغة الرَّسول ﷺ، أو أهل الحجاز. وهي لغة بيئته، وسأذكر حديثين اثنين وهما:

قال رسول الله ﷺ: ((منْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، يُرِيْدُ: الثُّومَ، فَلاَ يَغْشَانَا في مَسْجِدنا)) [٢٣]، فجزم مع بقاء الألف في (يَغْشَانَا)، وهي لغة جُذَام[٢٤].

قال رسول الله ﷺ: ((كَأَنَّهُمْ بَيْضٌ مَكْنُونٌ أَو لُؤْلُؤٌ مَنْثُورٌ))[٢٥]، و(مَكْنُونٌ) لغة قيس[٢٦].

رابعا: الشِّعر العربيُّ:

لم يستطع الشَّاعر العربيُّ أن يستغني عن اللهجات العربيَّة في شعره. والمطلِّع على ديوان الشِّعر العربيِّ يجد هذا واضحًا، فضلاً عمَّا ذكرته مصادر اللغة. ويمكن تقسيم هذا الاستعمال على صورتين شائعتين هما:

– استعمال الشَّاعر لغة قومه، وسأذكر شاهدين من عصر ما قبل الإسلام، كقول علقمة الفحل،(البسيط)[٢٧]:

كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُمْ ظَبْيٌ عَلَى شَرَفٍ
مُفَدَّمٌ بِسَبَا الكَتَّانِ مَلْثُومُ

فقال: (مَلْثُوم)، من الفعل (لَثَمَ)، وهي لغة بني تميم[٢٨]، وعلقمة تميميٌّ[٢٩]، وقول عبيد بن الأبرص(الطويل)[٣٠]:

عَنِ الوِتْرِ حَتَّى أَحْرَزَ الوِتْرَ أَهْلُهُ
فَأَنْتَ تُبَكِّي إِثْرَهُ مُتَهَالِكَا

فقال: (الوِتْر)، بكسر الواو، وهي لغة بني أسد[٣١]، وعبيد أسديٌّ[٣٢].

– عدم استعمال لغة قومه، وسأذكر شاهدين من عصر ما قبل الإسلام، كقول المستوغر بن ربيعة(الكامل)[٣٣]:

هل ما بقى إلّا كَما قدْ فاتنا
يومٌ بمرَّ وليلةٌ تَحْدونا

فقال: (بَقَى)، وهي لغة طيِّئ[٣٤]، والمستوغر تميميٌّ من بني سعد بن زيد مناة[٣٥]،

وقول طَرَفة بن العبد(الرمل)[٣٦]:

خالَتِي وَالنَّفْسُ قِدْمًا إِنَّهُم
نِعِمَ السَّاعُونَ فِي القَومِ الشُّطُرْ

فقال: (نِعِمَ)، بالإتباع، وهي لغة هُذَيل[٣٧]، وطرفة بكريٌّ منْ بني ضبيعة بن قيس[٣٨]. وتدلُّ هذه الشَّواهد وغيرها على أنَّ الازدواجيَّة اللغويَّة موجودة في العربيَّة التُّراثيَّة منْ زمنٍ بعيد، وليست حادثة كما يظنُّ بعضهم.

المبحث الثاني:

الازدواجيّة ولغة الإعلام

تعـدُّ لغة الإعلام منْ أكثر اللغـات تأثُّرًا بالتَّطوُّر اللغـويِّ؛ لأنَّهـا تواكـب تغـيُّرات المجتمعات سياسيًّـا، واقتصاديًّـا، واجتماعيًّـا، وغيرهـا. وتتداخـل حينئـذٍ المستويـات اللغويَّـة. فيعمد محرِّرو الأخبـار، والصُّحـف ووسائل الإعلام الأخـرى إلى اقتناص الأساليـب والألفـاظ المتداولة لدى النَّاس. واستعمال أيسر المستويات اللغويَّـة وأقربها فَهماً للمواطـن. والحقُّ معهم لأنَّهـم يحاكون شرائح المجتمـع كافَّة، فليست وسائل الإعلام موجهة إلى شريحة دون أخرى، كالأدبـاء، أو الشُّعراء، أو المثقَّفـين أو الأساتذة وغيرهم، وإنَّما موجَّهة إلى المتعلِّم وغيره.

ولم تقتصـر التَّحـوُّلات اللغويَّة في لغـة الإعلام علـى ما يطرأ علـى المجتمع منْ تغـيُّرات، وإنَّما تتعـدَّاه إلى سيطـرة السِّياسـة عليهـا. وهـو ما نشاهـده، ونسمعه، ونقـرؤه في أغلب وسائل الإعـلام العربيَّـة. فاللغـة الغالبة علـى الإعلام توافـق توجُّهات الحاكم الفكريَّـة، والسِّياسيَّة، والدِّينيَّة في الألفاظ، والأساليب، والمستويات، حَتَّـى يلمس المتابع تغيُّر لغـة الإعلام بتغيُّر نظام الدَّولة السياسيِّ.

وقـدْ اتَّسعـت وسائـل الإعـلام وتنوَّعت بين المقـروءة والمسموعـة والمرئيَّة، فكانـت المرئيَّة والمسموعة مـن التَّلفزيون والإذاعـة أكثر تأثُّرًا بـالازدواجيَّـة اللغويَّة من المقـروءة كالصُّحف والمجـلَّات والجرائـد. ولم يكـن تأثُّـر وسائل الإعـلام بـالازدواجيَّـة اللغويَّـة قريبـًا. وإنَّمـا حـدث قبل أكثر مـنْ قرن. ويمكـن تحديد أولى الوسائـل تأثُّـرًا، وهـي الصُّحـف والمجلَّات، فكان ظهورها الأوَّل في مصر؛ إذْ سبقت الدُّول العربيَّـة في استعمـال اللهجة العامِّيَّـة إعلاميًّا. وشـاع بمرور الزَّمن حَتَّى يومنـا هذا، وأستطيع أنْ أقـول: إنَّ تأثُّر الصُّحف بـالازدواجيَّة اليوم أكثر من السَّابق.

ففي عـام ١٨٨١م أصدر عبد الله النَّديم جريدة (التَّنكيـت والتَّبكيـت)، وهـي جريـدة نقديَّة ساخرة مـن الوضـع السِّياسـيِّ في مصر. ومنْ يطَّلـع على هذه الجريدة يجـد استعمالِ اللهجة المصريَّـة في مواضـعَ يستدعيهـا مقـام النَّصِّ، وليسـتْ غالبة علـى لغتها. وظهـرت في العام ١٩٣٤م صحيفـة (البعكوكـة)، وهي جريدة هزليَّـة أصدرهـا محمود عـزَّة المفتـي. وأكمل مسيرتها عبد الله أحمد عبد الله الشَّهير بـ(ميكي ماوس).

وكان لشيوع هذا النَّوع من الصُّحف أنْ وصل الحال بها إلى قيام يعقوب صنوع بإصدار (١٢) اثنتي عشرة صحيفة ساخرة، ومنها: أبو نظَّارة، وأبـو نظَّارة زرقاء، وأبو صفـارة، وأبو زمارة، وغيرها.

وظهـر هـذا النَّـوع مـن التَّأثُّـر في الصُّحـف العراقيَّـة، فمنْ ذلك جريـدة (مرقعة الهندي).

وهي فاتحة عهد الصَّحافة السَّاخرة في العراق؛ إذْ لم تسبقها أيُّ صحيفة عراقيَّة أخرى. وصدرت في البصرة في العام ١٩٠٩م. وكان صاحبها أحمد حمدي المشرافي ومديرها محمد حمدي. وفي العام ١٩١١م أصدر نوره جي محمد الوهيب جريدة (النَّوادر) في بغداد، وتبعتها جريدة (جكه باز) التي صدرت في العام نفسه ومسؤولها عبد المجيد خيالي وغيرها. وبقيتْ صحف الفكاهة والسُّخرية تصدر في العراق بشكلها المألوف، حَتَّى أصدر الصَّحفيُّ الفكاهيُّ نوري ثابت في العام ١٩٣١م جريدة (حَبَزْبُوز)، التي أخذت طابعًا فكاهيًّا هزليًّا واضحًا. وغلب عليها استعمال اللهجة العراقيَّة، فكان ظهورها تحوُّلاً كبيرًا في تأثُّر الصَّحافة العراقيَّة بالازدواجيَّة اللغويَّة. ولم تختلف الحركة الإعلاميَّة في بيروت عنها في بغداد والقاهرة، فظهر التَّأثر بالازدواجيَّة اللغويَّة في لغة الصَّحافة اليوميَّة والأسبوعيَّة واضحًا، ومنْ ذلك صحيفة (الدَّبُّور) الَّتي صدرت في العام ١٩٣٢م.

لقد وصلتْ الصَّحافة العربيَّة إلى دول شرقي آسيا، فنحى أصحابها منحى منْ سبقهم في استعمال اللهجات العربيَّة المحلِّيَّة؛ إذْ أصدر الصَّحفيُّ اليمنيُّ فرج بن طالب الكثيريّ جريدتين باللهجة الحضرميَّة في سنغافورة، أولاهما: جريدة (القصاص) في عام ١٩٣٢م، والثَّانيَّة: جريدة (الشَّعب الحضرميّ) في عام ١٩٣٤م. ويمكن أنْ نستنتج منْ هذا العرض؛ أنَّ الازدواجيَّة اللغويَّة في لغة الإعلام المقروء أسبق من المرئيِّ والمسموع. ولعلَّ بدايات استعماله كانت بدافع محاكاة شريحة مجتمعيَّة محدَّدة ومعيَّنة؛ إذْ غلبت على الصُّحف المتأثِّرة بالازدواجيَّة صفات؛ التَّهكم، والسُّخرية، والفكاهة، والانتفاضة على الوضعين السِّياسيِّ والاقتصاديِّ. وهذه الأمور تلامس حياة الفرد المتضرِّر بها، وهو المواطن الفقير، ونقد الحال والسُّخرية من الأنظمة باللهجة العاميَّة يكون أبلغ منه بالفصحى؛ لأنَّ الفصحى بعيدة عن الشَّعب بجميع طبقاته.

ويبدو أنَّ هذا النَّوع من الاستعمال اللغويِّ لا يقدح في فصاحة اللغة أو ينقص منها؛ فالعلماء أنفسهم يعدلون عن الفصحى إلى العاميَّة إذا أرادوا موقفًا ساخرًا. ولكنْ هل اقتصر التَّأثُّر بالازدواجيَّة على الصَّحافة السَّاخرة والفكاهيَّة؟ بالتأكيد لم يقتصر التَّأثُّر على هذا النَّوع من الصَّحافة، وإنَّما شمل الصَّحافة السِّياسيَّة والعلميَّة أيضًا؛ لأنَّ هناك مجموعة من الأبواب لا تتناسب مع الفصحى، مثل رسوم الكاريكاتور. وهو باب لا تخلو منه جريدة أو مجلة، إضافة إلى أبواب التَّسلية الَّتي تتضمَّنها الصُّحف المختلفة؛ إذْ تحتوي هذه الأبواب على الطَّرائف، والدُّعابات، والتَّعليقات السَّاخرة، ولم يكن مقتصرًا على نوع واحد من الصَّحافة، وإنَّما في أغلب الصُّحف إنْ لمْ تكنْ جميعها. وقد تسربت الكثير من الألفاظ غير العربيَّة عبر اللغة الإعلامية، ومنها المصطلحات العلميَّة،

والثَّقافيَّة، والعسكريَّة وغيرها إلى جانب دخول ألفاظٍ عاميَّـةٍ الاستعمال، وأجنبيَّـة الأصل يتم تداولها بشكل واسع جداً.

وإذا كان مسـوّغ تعريب المصطلحات العلميَّة سيفقدهـا الكثـير مـنْ مميِّزاتهـا المعرفيَّـة، فلا يفـي الاسم المعـرَّب بمميـزات المسمَّى. ولكن هـذا لايصدق علـى اللهجة العاميـة مثلا: نجيز استعمـال المصطلحات الأجنبيَّـة في الصحافة كما هي في لغتها دون تعريب، مثل: الكمبيوتر، والفيس بوك، وتويتر، والموبايل، وغيرها فضلاً عـن أسمـاء الأعـلام الدَّالـة على الشَّركات، وأسماء البضائع، وغيرها؛ لأنَّ تعريب مصطلح (كمبيوتـر) إلى(حاسوب) يعنـي أنَّ هذا الاسم المعـرَّب مأخـوذ من الجذر(ح س ب). ويأتي في اللغـة بأحـد أربـع دلالات، هـي: «العَدُّ، والكِفَايـة، والحُسْبَـانُ، وبَيَاضُ الجِلْـدَةِ»[٣٩]. وأقرب الدَّلالات دلالة (العَـدّ). وعند الموازنة بـين دلالـة العدّ والمهـامّ الَّتـي يؤدِّيهـا المسمَّى فـإنَّ الدَّلالة الجديدة قاصرة عـنْ بلوغ ما يؤدِّيه المسمَّى؛ فمهامّه لمْ تقتصر على العدّ والحساب، ومثله كثير من المصطلحات.

ولم يختلـف حـال وسائـل الإعـلام المسموعة والمرئيَّـة عن المقـروءة في تأثُّرهـا بـالازدواجيَّة اللغويَّـة؛ إذ بدأ هذا التَّأثُّر واضحًا بمرور الزَّمن. والمتتبِّـع لها يرى أنَّ العربيَّة الفصحى في العقود السَّابقـة مستعملـة في برامجها كافَّـة، العلميَّة، والثَّقافيَّـة، والفنِّيَّـة، والسِّياسيَّـة، والرِّياضيَّـة، وغيرها. وتـكاد اللهجة العامِّيَّة غـير مستعملة تمامًا. ثمَّ بدأ استعمال اللهجة تدريجيًّا، فظهرت في البرامج السَّاخرة والعلميَّة، والثَّقافيَّة وصولاً إلى برامـج الأطفـال. وهي بمثابـة سلخ المعجم اللغويِّ الَّذي يحمله الطِّفل، وتحويله إلى معجم لهجيٍّ.

بدأتْ اللهجة العامِّيَّة بالظُّهـور علنًا أوَّل أمرها في القنـوات التَّلفزيونيَّة والبرامـج الإذاعيَّة في مصر، فكانـت مواكبة للدَّعـوات الكثيرة الَّتي ظهرت في مصر ضـدَّ العربيَّة الفصحى، كتغيير الحرف العربيِّ وإلغاء الفصحى وغيرها. ويمكن أنْ نعـزو أسباب عـزوف القنـوات التَّلفزيونيَّة والإذاعيَّة عنْ اللغة الفصحى، واستعمال العامِّيَّة إلى ما يأتي:

أ. إبعاد العربيِّ عن لغته الَّتي تمثِّل هويَّته القوميَّة والدِّينيَّة.

ب. جهـل العاملين في هذه القنـوات بالعربيَّة الفصحـى، سواء كانوا مذيعين أم محرِّري أخبار وبرامج.

ج. مواكبـة التَّطـوُّر العلمـيِّ والثَّقـافيِّ الَّذي يشهـده العالم؛ إذْ امتلأت الكتب بالمصطلحات غـير العربيَّة، فسَرَت هـذه المصطلحات إلى لغة الإعلام.

د. تطبيق ما يسمى بعولمة الإعلام.

وقـد اتَّسعـت الهـوَّة بـين العربيَّـة الفصحـى ولغـة الإعـلام لتتجـاوز الـكلام المستعمل في

البرامج والأعمـال التّلفزيونيّة، فظهر استعمال العامّيّـة في أسمـاء القنـوات الفضائيّـة، مثل: تتح، وأفنديا، وحظـو، والفنكوش، وفرتكة، وهمبكة، وفتافيـت، وست البيت[٤٠] وغيرها، إضافة إلى استعمال الأسماء غير العربيّة لقنوات أخـرى. وإنّ استعمـال الألفـاظ العامّيّة أسماء لقنـوات فضائيّة، إنّمـا جاء ربطًا بـين ما تقدّمه القنـاة واسمهـا؛ لأنّهـا قنوات مختصّـة بعرض المسلسـلات، والأفلام وبعضها خاصٌّ بصناعة الطّعـام. وهـذا لا يتوافـق إعلاميًّـا مـع اللغـة الفصحى، ولكنّها أسماء لافتة للنّظر تشدُّ انتباه المشاهد.

وقد شاعت الازدواجيّة أيضًا في أسماء البرامج المقدّمـة، فسابقًا كانت أسمـاء البرامج بالعربيّة الفصحـى، أمّا الآن فقد طغـت العامّيّة حتّى لا تستعمـل الفصحـى إلاّ في برامـج ذات طابـع خاصٍّ جـدًّا، كالبرامـج الدّينيّـة، أو العلميّة، أو السّياسيّـة. وقـد ابتعدت البرامـج الثّقافيّة، والفنّيّـة، والسّاخرة، وبرامج الأطفال، وبرامج المطبـخ عنْ الفصحـى كثيرًا. ومـنْ أسماء هذه البرامـج: نفسِنة، وتراجـي، وصاية وصرماية، وصوغة وغيرها.

وإذا تفحّصنـا مضامـين البرامـج نـدرك مدى تأثُّرها بـالازدواجيّة. وأقصد اللغة المستعملة في تقديمهـا. ونكتشف أنّ الأمر أكبر ممّا سبق؛ فإذا كان تأثر القنوات الفضائيّة منْ خلال أسمائها، أو أسمـاء البرامج الفنّيّـة والسّاخرة، وما يتعلّق بالمطبـخ، ولكنّ التأثـر انسحب اليـوم إلى لغة الحـوار أكـثر وأوسـع؛ ليشمل البرامـج الدّينيّة والعلميّـة، والأدبيّة، كبرامـج الإعلاميّ عمرو خالد وغيره. ولم تبق غـير نشرات الأخبار التي تكتـب بالعربية الفصحى، ركيكـة الأسلوب، ومليئة بالأخطاء، ويأتـي المذيع وهو لايفقه في العربيّة، ونحوها، وصرفها فيزيد الطين بلّة.

لقد تأثّرتْ لغة الإعلام تأثُّرًا كبيرًا بـالازدواجيّة اللغويّـة، في محاولـة منها لطمس معـالم العربيّة الفصحـى وإبعـاد المشاهـد عنهـا. وليس هذا فحسب، وإنّمـا تصوير العربيّـة الفصحى على أنّهـا جسم غريب يجب الابتعـاد عنه وتجاوزه إلى ما هو أيسر وأسهل وأقرب إلى الفهم.

المبحث الثالث:

الازدواجيّة ولغة الأدب

تعدُّ اللغة مـادّة الأدب الرّئيسة. وهي كالفرشاة للرّسـام والألـوان للصُّـورة، فتتعـدّد صـور استعمالهـا وتختلف مراميهـا، فيأخذ الأديب ما يوافق مراده ويعبّر عـنْ عواطفه وأحاسيسه، سواء كان النّصُّ الأدبيُّ شعرًا أم نثرًا، فهي بمثابة الرُّوح لـه، والشّعر «استعمال خاصٌّ للغة»[٤١]. وقـد أحسَّ الأدباء بقيمة اللغة فراحوا يتوسّعون في استعمالهـا، ولاسيّما الشُّعـراء؛ لأنّهم يرون أنّ لغـة الشّعـر خروج عن المألـوف. «وانتقال لغـة الشّعر من فضاء ما أسماه البلاغيّون والنقّاد الممكنَ إلى فضـاءي الممتنع والمستحيل، هو في

الواقـع انزياح عـن معيار قانـون اللغة، وخرق لقواعدها وقوانينها وسننها»[٤٢]، فحاولوا كسر القيود الَّتـي فرضتها، بحسب رأيهـم، العربية التُّراثيَّة وخرجوا إلى فضاء رحب وواسع.

لقد تأثَّر الأدباء، شعـراء وروائيُّون، باللهجات قديمًـا وحديثًا، وذكرت قبل قليـل مجموعة منْ أبيات الشِّعـر الجاهليِّ الَّذي تأثَّـر باللهجات. أمَّـا الأدب الحديث فكان التَّأثُّـر واضحًا على نتاجـه، ولاسيَّمـا الرِّوايـة. فقد سـوَّغ توفيق الحكيـم لنفسـه هـذا الاستعمـال بقوله: «في رواياتـي ومسرحياتـي لا أستطيـع أنْ أجعـل العتَّـال، أو الفرَّاش، أو سائـق التَّاكسـي، يتكلَّمـون الفصحى؛ لأنَّ اللغة العامِّيَّة هي اللغة الطَّبيعيَّـة بالنِّسبة لهم، فـإذا جعلتهم يتكلَّمون الفصحـى، سأخلق جوًّا مصطنعًـا»[٤٣]. وفيما يأتـي الأسباب الَّتي دعت الأديب إلى الاستعانة باللهجة والعدول عن الفصحى، وهي:

١. مراعاة المقام:

يحظى المقام بمكانة متميِّزة في تحديد نمط الكلام وصناعة الأسلوب؛ إذْ يأخذه المتكلِّم بالاهتمام في بنـاء الجملة وتركيبها؛ لذلـك هناك تفاوتٌ واضـحٌ في الأسلوب اللغـويِّ بين مقامٍ ومقام، فلا يمكن أنْ نساوي مقـام التَّرغيب بالتَّرهيب، أو مقام الفرح بالحـزن وغيرها، فيعمد القارئ إلى اختيـار ألفاظه وتراكيبه حسـب ما يقتضيه المقـام الذي هـو فيه. وليس هذا فقـط، وإنَّما يلقـي المقام بظلاله على الصَّـوت اللغويِّ وبنية الكلمـة، فتتفاوت طبيعـة الأصوات مجهورها، ومهموسهـا، أو شديدها، ورِخْوهـا، لتناسب مقام الكلام، واختلاف بنية الكلمة الصَّرفيَّة من تجرُّد وزيادة أو تخفيـف وتشديد وغيرها. ولمَّا كانت للمقام هـذه المكانة الرفيعـة في أسلوب الـكلام قالت العرب: لـكلِّ مقام مقال، ولكلِّ مقـال مقام. وقـدْ شـاع استعمـال اللهجة في الأدب الحديـث، شعرًا ونثرًا، لضرورة يفرضها المقـام على الشَّاعر، ومنْ ذلـك قول بدر شاكر السَّيَّاب[٤٤]:

مَا زِلْتُ أَضْرِبُ مَثْرِبَ القَدَمَيْنِ أَشْعَثَ، فِي الدُّرُوبِ
تَحْتَ الشُّمُوسِ الأَجْنَبِيَّهْ
مُتَخَافِقَ الأَطْمَارِ، أَبْسِطُ بِالسُّؤَالِ يَدًا نَدِيَّهْ
صَفْرَاءَ مِن ذُلٍّ وَحُمَّى: ذُلَّ شَحَّاذٍ غَرِيبِ
بَيْنَ العُيُونِ الأَجْنَبِيَّهْ
بَيْنَ احْتِقَارٍ، وَانْتِهَارٍ، وازْوِرَارٍ .. أَو خَطِيَّهْ
وَالمَوتُ أَهْوَنُ مِن خَطِيَّهْ

فاستعمـل كلمـة (خَطِيَّة)، وهي كلمـة شائعة في اللهجـة العراقيَّـة تستعمل في مقـام التَّرحُّم والعطـف. وجـرى العدول عـن الفصحى إلى العامِّيَّـة والاستعانـة بـالازدواجية مع وجود ما يرادفهـا في الفصحى، وهي كلمـة (مِسْكِين)، إلاَّ أنَّ كلمـة (خَطِيَّة) أبلغ في التَّعبير عن التَّرحُّم والعطف، فأَراد السَّيَّاب «أنْ ينقل للقارئ تلك الحالـة المأساويَّة الَّتـي يقال له فيهـا: (خَطِيَّة)، وهنا تصير المفـردة قادرة علـى احتواء الموقف برمَّته، والإيماء بـه»[٤٥]، فالمطَّلع إلى النَّصِّ يجد

مقوِّمات الاستعانة بالازدواجيَّة ظاهرة، ويمكن حصرها في أحد أمرين:

أ. جوّ النَّصّ العامّ: وهو الَّذي يبعث على المأساة الَّتي يعيشها المبدع؛ إذْ صوَّرت اللغة هذه المأساة ابتداءً منْ قوله: أَضْرِبُ مَـرِبَ القَدَمَيْنِ أَشْعَثَ، ومُتَخافِقَ الأَطْمَارِ أَبْسِطُ بِالسُّؤَالِ، وذُلَّ وَحُمَّى، وشَحَّاذٍ غَرِيْبٍ، واحْتِقَارٍ وَانْتِهَارٍ وازْوِرَارٍ، والمَوتُ، فناسبت هذه الكلمات في دلالتها دلالة كلمة خطيَّة الَّتي يفهمها المتلقِّي بكلِّ ما تحمله منْ معانٍ.

ب. مراعاة القافية: وهذا ما يحاول الشَّاعر الفرار منه إلى كلِّ ما يوافق نظمه، كما سأذكره في السَّبب الثَّاني، فجاءت كلمة خطيَّة موافقة لقوله: نَدِيَّة وأَجْنَبِيَّة. وقريبًا منْ هذا الاستعمال يتأثَّر الشَّاعر العراقيّ جمال جاسم أمين بالعامِّيَّة في قوله[٤٦]:

(حَمَـد) الآنَ لاَ يَسْتَطِيْـعُ الـكَلاَمَ، لأنَّـهُ وَجَدَ مَرِيْضًـا ذَاتَ مَـرَّةٍ يَحْتَـاجُ إلَى كِلْيَـةٍ فَتَـبَرَّعَ لَهُ بِحَنْجَرَةٍ.

(حَمَد) مَـكْرُود.

(حَمَد) لاَ يَعْرِفُ الرَّاحَة.

فاستعمل الشَّاعر كلمة مَكْرُود، وهي كلمة شائعة في اللهجة العراقيَّة تستعمل للعطف والتَّرحم، ولكنَّ الفرق بينها وبين كلمة خَطِيَّة المستعملة في شعر السَّيَّاب أنَّ كلمة مَكْرُود تستعمل على سبيل إنكار الحال، الَّذي هو فيه، في حين تستعمل كلمة خَطِيَّة على سبيل العطف والشَّفقة. ودعا الشَّاعر إلى هذا الاستعمال ولم يستعمل خَطِيَّة أو كلمة من العربيَّة التُّراثيَّة وأراد أنْ يصوِّر ما عليه بطل النَّصّ حمد؛ لأنَّه خسر حنجرته، ولم يفد المريض بشيء، فصوَّر ما فعله حَمَد بفعل المتهوِّر. ورأى في استعمال الازدواجيَّة أوضح دلالة، إذ لم يجد الشَّاعر كلمة في المعجم العربيّ يمكن أنْ تناسب المقام الَّذي عليه بطل النَّصّ حَمَد كما هو الحال مع السَّيَّاب.

وسار على هذا النَّهج أيضًا الشَّاعر حسين مردان، فلا «تكاد تخلو قصيدة واحدة منْ تلك المفردات الَّتي تتَّصف بأنَّها موغلة في الشَّعبيَّة، أيْ: ليس لها أصل فصيح، الأمر الَّذي أضفى على لغة الشَّاعر ركاكة، وشعبيَّة واضحة»[٤٧]، فجعل أحد الباحثين هذا الاستعمال تمرُّدًا على البناء الشِّعريِّ الفصيح[٤٨]، فقال في قصيدة طابوحة:

وَأَنْتِ
فِي نَفْنُوفِكِ الأَنِيْق
طَابُوحَةٌ .. تَرُشُّ فِي وُجُوهِنَا البَرِيْق

....

وَمِن تَرَانِيْمِ العُيُونِ السُّودِ وَالدُّمُوع
سَالُوفَةٌ لَيْسَ لَهَا مَثِيْل

...

وَمِن نَزَاكَةِ الحَدِيْث

ففي هذا المقطع يستعين الشَّاعر بالازدواجيَّة اللغويَّة استعمالاً واضحًا منْ خلال الكلمات: نَفْنُوف، وطَابُوحَة، وسَالُوفَة، ونَزَاكَة. وكلُّها مأخوذة من اللهجة العراقيَّة، فأراد بنَفْنُوف: الثَّوب الخاصَّ بالنِّساء، ولا تستعمله النِّساء إلاَّ في الحفلات والزِّيارات الرَّسميَّة، والثَّوب الذي ترتديه الفتاة في بيتها يسمى دَشْدَاشَة أوثوب ولا يسمى نَفْنُوفًا. وسبب اختيار الشَّاعر هذه الكلمة؛ لأنَّ قيد المقام فرض عليه استعمالها، فلم يجد في فصيح اللغة ما يؤدِّي هذا المعنى على الرَّغم منْ كثرة الكلمات الدَّالَّة على أنواع الثِّياب . وإنَّ استعماله كلمة طَابُوحة بمعنى: الحشرة الَّتي تضيء ليلاً، أيْ: اليَرَاعة، جاء موافقًا لسياق كلامه؛ لأنَّه أيقن أنَّ استعمال كلمة اليَرَاعة بعيد عن المتلقِّي، واتِّصالها بالمجتمع الَّذي يحاكيه ليس قويًّا، فعدل إلى استعمال اللفظة القريبة منه.

أمَّا استعماله لفظة نَزَاكَة، وهي: الرِّقَّة واللطافة في التَّعامل. وتأتي منْ رفاهية العيش ودلال الحياة، فهو استعمال شعبيٌّ عراقيٌّ ليس له أصل في كلام العرب[٤٩]، وقيل: أصله فارسيٌّ من نَازِك، بمعنى: الرِّقَّة والنُّعومة واللطف[٥٠]. ومنه تسمى البنت نازك، فجاء استعمال الشَّاعر هذه اللفظة مناسبًا للمقام الَّذي يريده في القصيدة؛ إذْ الجوُّ العامُّ لها غزل صريح تضمَّن مجموعة منْ أسماء أعضاء جسم المرأة كقوله: نَهْد، وفَخِذ، وسَاق، وخُصْر، وغيرها. فهذا الجوُّ العامُّ لا يناسبه إلاَّ استعمال كلمات تحمل ظلالاً دلاليَّة كثيرة.

ويطالعنا عبد الرَّزَّاق عبد الواحد بنمط جديد من التَّأثُّر بالازدواجيَّة؛ إذْ فرض عليه مقام الحرب أنْ يستعمل الأهازيج المشهورة في حياة المواطن العراقيِّ كما هي؛ لأنَّه يرى أنْ لو أعيدتْ صياغتها بالفصحى لفقدت ميزتها الجماليَّة، فجمالها في تركيبها الشَّعبيِّ الَّذي يدلُّ على ثقافة قائلها والجوِّ النَّفسيِّ، فقال مثلاً في قصيدة مصادرة منشور سرّي[٥١]:

يَا وَلَدِي الحَامِلَ عَنِّي زَهْوَ دَفَاتِرِه
كُنْتُ أَدْفَعُ دَبَّابَتِي فِي وُجُوهِ التَّمَاسِيح
مَلْغُومَةٌ بِالهَلاَهِل
مَلْغُومَةٌ بِالأَهَازِيج
بِالشِّعْرِ
مَلْغُومَةٌ بِالَّتِي طَوَّحَتْ بِعَبَاءَتِهَا وَهِيَ تَرْدِسُ
(هَزِّيْتْ وَلُولِيْتِ لْهَذَا)

فاستعمل في هذا المقطع أهزوجة عراقيَّة شعبيَّة وهي قوله: (هَزِّيْتْ وَلُولِيْتِ لْهَذَا) تصاحبها رقصة خاصَّة بالمرأة العراقيَّة في جنوب العراق. ويسمَّى هذا النَّوع من الرَّقص (الرَّدْس)؛ إذْ تقوم المرأة بالتَّلويح بعباءتها، وهي تنشد هذه الأهازيج، ويعبِّر عنْ هذا التَّلويح بقوله: (طَوَّحَتْ)، أي: رمت بعباءتها في الهواء، منْ قولهم: «طوَّح بالشَّيء، إذا ألقاه في الهواء»[٥٢]. وهو نوع من الحماسة واستنهاض الشَّباب، ففرض مقام النَّصِّ على الشَّاعر أنْ يأتي بهذا التَّركيب العامِّيِّ؛ لأنَّه لا يستطيع أنْ يعبِّر عمَّا

يريد إذا أعاد صياغة هذا المقطع بالفصحى، فلو استعمل كلمة (ترقص) بدلاً منْ (تردس) لفقد النَّصُّ معناه وصورته؛ لكون المتلقِّي لا يستحضر الصُّورة الَّتي يبعثها النَّصُّ بالفعل (تَرْدِسُ)، كما أنَّ استعمال الفعل (ترقص) لا يتناسب مع مقام المرأة العربيَّة الَّتي تستنهض الشَّباب للحرب، لِمَا يحمله الفعل منْ صور لا تليق بصورة المرأة المشرِّفة.

وجاء قوله: (لُولِيْت)، وهو تعبير عنْ نوع من الغناء الَّذي تستعمله الأمّ العراقيَّة إذا أرادت أنْ تُنوِّم طفلها، فتهزُّ سريره، الَّذي يسمَّى في اللهجة العراقيَّة (كَارُوك)، وتقول: دِلِيلُّول دِلِيْلُول، وتستمرُّ بالغناء، وهذا الفعل لا يوافقه فعل في العربيَّة التُّراثيَّة، ناهيك عنْ دلالته عند المتلقِّي.

٢. الضَّرورة الشِّعريَّة وقيْد الوزن:

الضَّرورة الشِّعريَّة من المصطلحات الَّتي اختلف فيها النَّحويُّون والنُّقَّاد كثيرًا، «فذهب بعضهم إلى إطلاقها على كلِّ ما جاء في الشِّعر، سواء أكان للشَّاعر عنه مندوحة أمْ لا. ومنهم منْ رأى أنَّها ما يضطرُّ الشَّاعر إليه اضطرارًا، بحيث لا تكون له عنه مندوحة. وفيهم من انتهى إلى أنَّ ما يسمِّيه النُّحاة ضرورة ما هو إلاَّ خطأ، ومحاولة الاعتذار عنه تكلُّفٌ لا داعي له. وبينهم منْ رأى أنَّها شذوذ أو رخصة. وقدْ غالى بعضهم فزعم أنَّ الشِّعر نفسه ضرورة. واهتدى قليل منهم إلى أنَّ هذا منْ لغة الشُّعراء؛ لأنَّ ألسنتهم قد أَلِفَت ذلك ودرجت عليه»[٥٣].

ورد هذا الاستعمال في الشِّعر الحديث، ومنه قول السَّيَّاب،(الكامل)[٥٤]:

أَشْكُو إِلَيْكِ أَذَى الفُؤَادِ وَإِن تَكُنْ
لاَ تَرْجِعُ الشَّكْوَى لِصَبٍّ مُبْتَلِي

استعان السَّيَّاب بالازدواجيَّة اللغويَّة في هذا البيت فقال: (مُبْتَلِي) التي جاءت على وزن اسم الفاعل (مُفْتَعِل)، وهو يريد اسم المفعول (مُبْتَلَى)، على وزن (مُفْتَعَل). ويشيع استعماله في اللهجة العراقيَّة الحديثة، فيقولون: آني مِبْتِلِي بيك، أيْ: أَنَا مُبْتَلَى بِكَ، ولم يستعن السَّيَّاب بالازدواجيَّة في هذا النَّص لمناسبة المقام أو وسيلة التَّواصل، وإنَّما فرضه عليه قيد القافية، فجنح إلى التَّحرُّر منه واستعمال الشَّائع في اللهجة العراقيَّة؛ لأنَّه لو قال: (مُبْتَلَى) لأدَّتْ الدَّلالة المرادة وخالفت القافية؛ إذْ ورد هذا البيت ضمن المقطع الشِّعريِّ الآتي، (الكامل):

أَأَرُوحُ وَهُوَ يُظِلُّنِي وَحَبِيْبَتِي
وَأَعُودُ وَحْدِي وَهُوَ غَيْرُ مُظَلِّلِي
سَعْفَ النَّخِيْلِ سِوَاكَ خَانَ مَوَدَّتِي
بَقِيتَ تَحْفَظُهَا لِمَنْ لاَ يَنْسَلِي
أَشْكُو إِلَيْكِ أَذَى الفُؤَادِ وَإِن تَكُنْ
لا تَرْجِعُ الشَّكْوَى لِصَبٍّ مُبْتَلِي
تَمْضِي الحَبِيْبَةُ وَالزَّمَانُ كِلاَهُمَا
وَأَظَلُّ أَنْدِبُهَا وَتَصْغِي أَنْتَ لِي

٣. التّفاهم ومراعاة الآخر:

تعدُّ اللغـة وسيلة مهمَّة منْ وسائـل التّفاهم بين الشُّعـوب؛ إذْ لولا وجودهـا لانعدمت الحياة. وتتوطّد العلاقة بـين الشَّعب واللغة حين ينتمي أفـراد الشَّعـب إلى قوميَّة واحـدة تحكمهم لغة واحدة، وبهـذا تأخذ اللغة دورهـا الكامل في التّفاهـم إلى أبعـد نقطة، كمـا أنّ أفراد الشَّعب يستطيعون أنْ يستعملوا اللغة بتصريفاتها البنائيّة والاشتقاقيّـة كلّهـا، فيـؤدّي إلى تطـوُّر وسيلة التّفاهـم شيئًا فشيئًـا. وتفرض وسيلـة التّفاهم في أحيانٍ على المتكلِّـم الاستعانة بـالازدواجيّة اللغويّـة للوصـول إلى مـا يريد، فيتأثّـر المتكلِّم باللهجـة العاميّة. ومنْ أمثلة هـذا التّأثُّر ما كتبه أحمد مطر في قصيدته مكسب شعبيّ[٥٥]:

حَمَلْتُ شَكْوَى الشَّعْبِ
فِي قَصِيْدَتِي
لِحَارِسِ العَقِيْدَهْ
وَصَاحِبِ الجَلاَلَةِ الأَكِيْدَهْ
قُلْتُ لَهُ:
شَعْبُكَ يَا سَيِّدَنَا
صَارَ عَلَى الحَدِيْدَهْ

فاستعمـل الشّاعر عبارة (علـى الحديدة)، وهو تركيـب من العاميّـات العربيّة يـدلُّ على الفقر المُدْقـع الّـذي يعيشـه الإنسان، وإنّمـا فرضت وسيلة التّفاهم على الشّاعر هذا الاستعمال، فلو استعمـل ما أتاحته له اللغة مـن ألفاظ لَمَا أعطت الـدّلالات الّتـي يعطيهـا الاستعمـال العاميّ، ولهـذا كان هـذا الاستعمـال أسـرع إلى فهـم المتلقّـي لِمَا يريده المبدع، كما أنّ الجوَّ الشّائع في المقطع التّهكُّم من وضع الشَّعب العامّ، وهذا لا يصل إلى المتلقّي بالصُّورة الّتي يريدها المبدع إلاّ بالاستعانة بـالازدواجيّة.

وفرضـت وسيلـة التّفاهم على صـلاح الدّين بوجاه استعمال العاميّة في روايته (سبع صبايا)، فيقول[٥٦]:

سَبْعِ صْبَايَا فِي كَصْبَايَا
بِطِيْحِ اللَيْلْ ... وُنَاكُلْهُمْ
سِيْدِي وَصَّانِي عْلِيْهُمْ
وَاللهِ مَا نْذُوكِيْهُمْ

فاستعمـل بوجـاه في هـذا المقطع مـن الرِّواية اللهجـة الشَّعبيَّة؛ لأنّ قيـد التّفاهم أوجب عليه هـذا الاستعمـال، فلو استعمـل الفصحـى لَمَا أعطـت الواقـع الحقيقـيَّ للمشهد الّـذي يريد تصويره.

نتائج البحث

❁ لمْ يتّفق اللغويُّون الّذين تناولوا الازدواجيّة في أبحاثهم على مصطلح واحد، أو مفهوم واحد لها.

❁ لم تكنْ الازدواجيّة اللغويّة حديثة، وإنّما لها جذور في العربيّة التراثيّة.

❁ ليس وجود الازدواجيّة اللغويّة في أيّ لغة، ولاسيّما العربيّة، عيبًا أو نقيصة، ففي مواضع تكون الحاجة ملحّة لها.

❁ تعدّدت مجالات تأثّر اللغة العربيّة الحديثة بالازدواجيّة اللغويّة. وتفاوت هذا التّأثّر بحسب أهمّيّة المجال، وأبرز ما وجدته في: لغة الإعلام، ولغة الأدب.

❁ تفاوتت لغة الإعلام في التّأثّر بالازدواجيّة اللغويّة، فكانت النّصوص والموضوعات الّتي تتناول السّخرية والتّهكّم ونقد الواقع الاجتماعيّ والسّياسيّ أكثرها وبعدها المواضيع الفنّيّة.

❁ تأثّرت لغة الإعلام المرئيّ والمسموع بالازدواجيّة اللغويّة بعد زمن من تأثّر لغة الإعلام المقروء، وبدأ هذا التّأثّر بالتّطوّر تدريجيًّا حتّى صار غالبًا على ما نراه ونسمعه.

❁ وجد الأدباء في استعمال اللهجة العامّيّة ملاذًا للهروب منْ بعض القيود، ومنْها قيْد الوزن والقافية.

❁ فرض المقام على الأديب استعمال اللهجة في النّصّ الأدبيّ، فجاءتْ مجموعة من التّراكيب العامّيّة في لغة الأدب.

❁ يعدُّ التّفاهم وسيلة مهمّة من وسائل التّواصل، ولهذا تأثّرت لغة الأدب بالازدواجيّة اللغويّة بسبب التّفاهم.

الهوامش

(١) الكرملي، الأب أنستاس ماري، نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٣٨م، ص١.

(٢) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ج١، ص١٩٣.

(٣) الزغلول، محمد راجي، ازدواجية اللغة، مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردني، العدد المزدوج ٩- ١٠، السنة ٣، ١٤٠١ هـ- ١٩٨٠م، ص١٢٠.

(٤) السّابق، ص ص١٢٠ ١٢١، وذكر فرجسون مجموعة من الأمثلة على النمطين، لا مجال لذكرها.

(٥) السابق، ص١٢٠.

(٦) محمود، إبراهيم كايد، العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية)، المجلد٣، العدد ١، ذو الحجة، ١٤٢٢هـ -مارس/ ٢٠٠٢م، ص٥٥.

(٧) الموسى، نهاد، الازدواجية في العربية ما كان، وما هو كائن، وما ينبغي أنْ يكون، الازدواجية في اللغة العربية، مطبعة الجامعة الأردنية، ١٤٠٩ هـ-١٩٨٨م، ص ٨٤.

(٨) انظر: يعقوب، إميل بديع، فقه اللغة العربية وخصائصها، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢م، ص١٤٦.

(٩) العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، ص ص٦٥ ٦٨.

(١٠) ابن سلاّم، أبو عبيد القاسم بن سلاّم (ت٢٢٤هـ)، لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم، تحقيق: د. عبد الحميد السيد طلب، مطبوعات ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ص٤٥، وانظر: ابن حسنون، أبو أحمد عبد الله بن الحسين (ت٣٨٦هـ)، وانظر: كتاب اللغات في القرآن، رواية ابن حسنون المقرئ بإسناده الى ابن عباس، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، ط ٢، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٣٩٢ هـ-١٩٧٢م، ص٢٠، وانظر: الوزان الحنفي، محمد بن علي المظفر، لغات القرآن المروية عنْ ابنْ عبّاس، قدّم له وحقّق نصّه وعلّق عليه: د. عبد الرحمن مطلك الجبوري، والدكتور إبراهيم عبود السامرائي، ط ١، دار المسيرة، عمّان، ١٤٣٠ هـ- ٢٠١٠م، ص٣٦.

(١١) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم، ص٤٦، وانظر: كتاب اللغات في القرآن، ص٢٠، وانظر: لغات القرآن المرويّة عنْ ابن عبّاس، ص٣٦.

(١٢) السابق، ص٤٨، وانظر: كتاب اللغات في القرآن، ص٢٠، ولغات القرآن المروية عن ابن عباس، ص٣٧.

(١٣) السابق، ص ص٤٩ ٥٠، وانظر: كتاب اللغات في القرآن، ص٢٠، وانظر: لغات القرآن المروية عن ابن عباس، ص٣٨.

(١٤) السابق، ص٥١، وانظر: كتاب اللغات في القرآن، ص٢٠، وانظر: لغات القرآن المروية عن ابن عباس، ص٣٧.

(١٥) السابق، ص٥٧، وانظر: كتاب اللغات في القرآن، ص٢١، وانظر: لغات القرآن المروية عنْ ابن عباس، ص٤١.

(١٦) السابق، ص٦٠، وانظر: كتاب اللغات في القرآن، ص٢٢، وانظر: لغات القرآن المروية عن ابن عبّاس، ص٤٣.

(١٧) أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (موجود في ق٤هـ)، حجّة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط ٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠م، ص١٧٠.

(١٨) ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس (ت٣٢٤هـ)، السبعة في القراءات، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٧٢م، ص٦٢٢.

(١٩) محيسن، د. محمد سالم، المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، دار الأنوار للطباعة، القاهرة، ص٧١.

(٢٠) السابق، ١٠٤.

(٢١) الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد (ت ٥٧٧هـ)، نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩م، ص٢٠٢.

(٢٢) ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد

(ت ٣٧٠هـ)، مختصر في شواذ القراءات، نشره: براجستراشر، دار الهجرة، ص١٥.

(٢٣) جزء من حديث طويل ورد في: البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط ٣، دار ابن كثير، واليمامة، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ج١، ص٢٩٢، رقم الحديث ٨١٦.

(٢٤) النَّحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت ٣٣٨هـ)، شرح أبيات سيبويه، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، مطبعة الغري الحديثة، النجف، ١٩٧٤م، ص ص ٣٨ ٣٩.

(٢٥) جزء من حديث ورد عند: الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٢٥٥ هـ)، سنن الدارمي، خدمه واعتنى به: نبيل آل باعلوي، ط ١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م، ص١١٠، رقم الحديث٥٢.

(٢٦) الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي (ت ٢١٥هـ)، معاني القرآن، تحقيق: د. فائز فارس، ط٢، الشركة الكويتية، الكويت، ١٤٠١ هـ- ١٩٨١م، ج٢، ص ص٢٧٩ ٢٨٠.

(٢٧) الشنتمري، الأعلم أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى (ت٤٧٦هـ)، ديوان علقمة الفحل، تحقيق: لطفي الصَّقال، ودريّة الخطيب، ط ١، دار الكتاب العربي، حلب، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م، ص٥٩.

(٢٨) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: نخبة من الأساتذة، مطابع سجل العرب، مصر، ج١٥، ص٣٦٧، مادة (لفم).

(٢٩) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم(ت٢٧٦هـ)، الشعر والشعراء، تقديم الشيخ: حسن تميم، ط ٢، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص١٣٠.

(٣٠) نصّار، د. حسين، ديوان عبيد بن الأبرص، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٧هـ- ١٩٥٧م، ص٩٤.

(٣١) القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت٣٥٦هـ)، أمالي القالي، مطبعة السّعادة، مصر، ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م، ج١، ص١٣.

(٣٢) الشعر والشعراء، ص١٦٦.

(٣٣) البيت له في: البلوي، أبو الحجاج يوسف بن محمد (ت ٦٠٤هـ)، ألف باء، المطبعة الوهبية، ١٢٨٧هـ، ج٢، ص٨٨.

(٣٤) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت٣٩٢هـ)، الصحاح في اللغة والعلوم، طبعة: نديم مرعشلي، وأسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية، بيروت، مادة (قلا).

(٣٥) المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ)، معجم الشعراء، تصحيح وتعليق: د. ف. كرنكو، مكتبة المقدسي، القاهرة، ص٢٣.

(٣٦) الشنتمري، الأعلم (ت٤٧٦هـ)، ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: لطفي الصَّقال، ودريّة الخطيب، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ودار الثقافة والفنون، البحرين، ٢٠٠٠م، ص٧٩.

(٣٧) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٣م، ج٤، ص ص٤٣٩ ٤٤٠.

(٣٨) الآمدي، أبو القاسم محسن بن بشر (ت ٣٧٠هـ)، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، وكناهم، وألقابهم، وأنسابهم، وبعض أشعارهم، مكتبة المقدسي، القاهرة، مطبوع مع كتاب (معجم الشعراء)، ص٢١٦.

(٣٩) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٠هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩ م، ج٢، ص ص٥٩ ٦٠ ٦١، مادة (حسب).

(٤٠) نلحظ من هذه الأسماء وغيرها أنّها قنوات مصرية، وهذا ما يؤيّد ما ذكرته من أنّ الإعلام المصري كان رائدًا في استعمال اللهجة المصرية.

(٤١) درو، اليزابيث، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، ترجمة: محمد ابراهيم الشوش، منشورات مكتبة منيمنة، ١٩٦١م، ص١٢٥.

(٤٢) سليمان، خالد، لغة الشعر بين الممكن والممتنع والمستحيل، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، المجلد ١٣، العدد١، ١٩٩٥م، ص٢٦٩.

(٤٣)عبدي، إبراهيم حاج، السّرد بين الفصحى والعاميّة، الكتاب السّوريون يدعون إلى اعتماد لغة سلسة؛ متأرجحة بين الفصحى والعاميّة. مقال منشور في الموقع الإلكتروني:

http://hifati.yoo7.com

(٤٤) السّياب، بدر شاكر، أنشودة المطر، دار ومكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٩م، ص١٢.

(٤٥) إطيمش، د. محسن، دير الملاك دراسة نقديّة للظواهر الفنيّة في الشعر العراقي المعاصر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢م، ص١٧٦.

(٤٦) أمين، جمال جاسم، بحيرة الصمغ، منظمة الصحفيين والمثقفين الشباب المستقلة، ميسان، العراق، ٢٠١١ م، ص ص١٦ ١٧.

(٤٧) دير الملاك، ص١٧٨.

(٤٨) القصيري، د. فيصل صالح، شعرية الاختلاف والتمرد في الشعر العراقي الحديث حسين مردان نموذجًا، مجلة افكار، الأردن، العدد ٢٥٤، ٢٠١٠م، ص ٤٠.

(٤٩) منق، علي بن لالي بالي بن محمد القسطنطيني (ت٩٩٢هـ)، خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص٣٨.

(٥٠) دوزي، رينهارت، تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: د. جلال الخياط وآخرون، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٠ م، ج١٠، ص٢٠١.

(٥١) عبد الواحد، عبد الرزاق، الأعمال الشعرية، ط ٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٠ م، ج٢، ص ص٣١٧ ٣١٨ .

(٥٢) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري (ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (طوح).

(٥٣) عبد اللطيف، د. محمد حماسة، لغة الشعر دراسة في الضّرورة الشّعريّة، ط ١، دار الشّروق، القاهرة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص٥.

(٥٤) السّياب، بدر شاكر، ديوان السياب، دار العودة، بيروت، ٢٠٠٥م، ج٢، ص١٣٤.

(٥٥) مطر، أحمد، المجموعة الشعرية، ط١، دار العروبة، بيروت، ٢٠١١م، ص٦٣.

(٥٦) بو جاه، د. صلاح الدين، رواية سبع صبايا، دار الجنوب، تونس، ٢٠٠٥م، ص١٧. وقوله: كصبايا، أيْ: قصبايا، وهو بيت القش، و(يطيح الليل): يأتي الليل، و(تذوكيهم)، أي: تذوقيهم.

المصادر والمراجع

أولا. الكتب

◆ ابن حسنون، أبو أحمد عبد الله بن الحسين (ت٣٨٦هـ)، اللغات في القرآن، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، ط٢، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

◆ ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت٣٧٠هـ)، مختصر في شواذ القراءات، نشره: براجستراشر، دار الهجرة، د.ت.

◆ ابن سلاّم، أبو عبيد القاسم بن سلاّم (ت٢٢٤هـ)، لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم، تحقيق: د. عبد الحميد السيد طلب، مطبوعات ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤م.

◆ ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٠هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

◆ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم(ت٢٧٦هـ)، الشعر والشعراء، تقديم الشيخ: حسن تميم، ط ٢، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

◆ ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس (ت٣٢٤هـ)، السبعة في القراءات، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٧٢م.

◆ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري (ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د. ت.

◆ أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (موجود في ق٤هـ)، حجّة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط ٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

◆ الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي (ت ٢١٥هـ)، معاني القرآن، تحقيق: د. فائز فارس، ط٢، الشركة الكويتية، الكويت، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

◆ الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: نخبة من الأساتذة، مطابع سجل العرب، مصر، د. ت.

◆ إطيمش، د. محسن، دير الملاك دراسة نقديّة للظواهر الفنيّة في الشعر العراقي المعاصر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢م.

◆ الآمدي، أبو القاسم محسن بن بشر (ت٣٧٠هـ)، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، وكناهم، وألقابهم، وأنسابهم، وبعض أشعارهم، مكتبة المقدسي، القاهرة، د. ت.

◆ أمين، جمال جاسم، بحيرة الصمغ، منظمة الصحفيين والمثقفين الشباب المستقلة، ميسان، العراق، ٢٠١١م.

◆ الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد (ت٥٧٧هـ)، نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، تحقيق:

د. إبراهيم السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩م.

❁ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط ٣، دار ابن كثير، واليمامة، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

❁ البلوي، أبو الحجاج يوسف بن محمد (ت٦٠٤هـ)، ألف باء، المطبعة الوهبية، ١٢٨٧هـ.

❁ بو جاه، د. صلاح الدين، رواية سبع صبايا، دار الجنوب، تونس، ٢٠٠٥م.

❁ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت.

❁ الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت٣٩٢هـ)، الصحاح في اللغة والعلوم، طبعة: نديم مرعشلي، وأسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية، بيروت، د. ت.

❁ الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٢٥٥ هـ)، سنن الدارمي، خدمه واعتنى به: نبيل آل باعلوي، ط ١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

❁ درو، اليزابيث، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، ترجمة: محمد ابراهيم الشوش، منشورات مكتبة منيمنة، ١٩٦١م.

❁ دوزي، رينهارت، تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلّق عليه: جلال الخياط وشركاؤه، ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٠ م.

❁ السّياب، بدر شاكر، أنشودة المطر، دار ومكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٩م.

❁ السّياب، بدر شاكر، ديوان السياب، دار العودة، بيروت، ٢٠٠٥م.

❁ سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٣م.

❁ الشنتمري، الأعلم أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى (ت٤٧٦هـ)، ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: لطفي الصّقال، ودريّة الخطيب، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ودار الثقافة والفنون، البحرين، ٢٠٠٠م.

❁ الشنتمري، الأعلم أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى (ت٤٧٦هـ)، ديوان علقمة الفحل، تحقيق: لطفي الصّقال، ودريّة الخطيب، ط ١، دار الكتاب العربي، حلب، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

❁ عبد اللطيف، د. محمد حماسة، لغة الشعر؛ دراسة في الضرورة الشعرية، ط١، دار الشّروق، القاهرة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

❁ عبد الواحد، عبد الرزاق، الأعمال الشعرية، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٠م.

❁ القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت٣٥٦هـ)، أمالي القالي، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م.

❁ الكرملي، الأب أنستاس ماري، نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٣٨م.

❁ محيسن، د. محمد سالم، المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، دار الأنوار للطباعة، القاهرة.

❁ المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ)، معجم الشعراء، تصحيح وتعليق: د. ف. كرنكو، مكتبة

المقدسي، القاهرة، د. ت.

❁ مطر، أحمد، المجموعة الشعريّة، ط١، دار العروبة، بيروت، ٢٠١١م.

❁ منق، علي بن لالي بالي بن محمد القسطنطيني (ت٩٩٢هـ)، خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

❁ الموسى، نهاد، الازدواجية في العربية ما كان، وما هو كائن، وما ينبغي أنْ يكون، الازدواجية في اللغة العربية، مطبعة الجامعة الأردنية، ١٤٠٩ هـ -١٩٨٨م.

❁ النّحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت ٣٣٨هـ)، شرح أبيات سيبويه، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، مطبعة الغري الحديثة، النجف، ١٩٧٤م.

❁ نصّار، دكتور حسين، ديوان عبيد بن الأبرص، ط ١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م.

❁ الوزان الحنفي، محمد بن علي المظفر، لغات القرآن المروية عنْ ابنْ عبّاس، قدّم له وحقّق نصّه وعلّق عليه: د. عبد الرحمن مطلك الجبوري، ود. إبراهيم السامرائي، ط١، دار المسيرة، عمّان، ١٤٣٠هـ-٢٠١٠م.

❁ يعقوب، إميل بديع، فقه اللغة العربية وخصائصها، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢م.

ثانيا. الدّوريات:

❁ الزغلول، محمد راجي، **ازدواجية اللغة، مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردني**، عمّان، العدد المزدوج ٩، ١٠ السنة ٣، ١٤٠١هـ-١٩٨٠م.

❁ محمود، إبراهيم كايد، **العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية**، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية)، المملكة العربية السعودية، المجلد (٣)، العدد (١)، ذو الحجة / ١٤٢٢هـ-مارس/ ٢٠٠٢م.

❁ سليمان، خالد، **لغة الشعر بين الممكن والممتنع والمستحيل**، مجلة أبحاث اليرموك، الأردن، سلسلة الآداب واللغويات، المجلد ١٣، العدد١، ١٩٩٥م.

❁ القصيري، د. فيصل صالح، **شعرية الاختلاف والتمرد في الشعر العراقي الحديث؛ حسين مردان نموذجًا**، مجلة أفكار، الأردن، العدد (٢٥٤)، السنة ٢٠١٠م.

ثالثا. المواقع الإلكترونية:

http://hifati.yoo7.com